١١ كانون الثاني، ٢٠٠٧

سهير أبو عقصة داود ❖

ككلّ شيءٍ، كانت لنا بدايةٌ.

وككلّ حبٍّ، كانت له نهايةٌ.

تركتُ الرجلَ الذي قال لي. «أُعطي عامًا من عمري مقابلَ فنجانِ شايٍ معك.» وهرعتُ إليه

كانت القاعة تنفض حضورَها، فقد وصلتُ آخرَ الاجتماع. كان على المنصّة. وكعادته في التخلّي عن كلّ الاعتبارات، تَرَكَ المشاركين يتناقشون، والحضورَ يَطْرحون الأسئلةَ، وتجاوزني.

كأيّ شيءٍ عابرٍ في هذا الوجود، كنتُ عابرةً وكان قلبي ينسحق على قارعة الطريق: عصفورًا طار للفرحِ، فاحتفت به المقصلةُ

وكما لم يكن آخرَ لقاءٍ لنا، كان هذا الوداع.

توقفت التاكسي التي أخذتْني إليه في مدينةٍ تعجّ بالسحر والحرية كانت عيناي مسمَّرتيْن في قدميَّ، المحصورتيْن في الكعب العالي، تَنقران قارعةَ الطريق إليه.

لم أجرؤ على النظر إلى وجهه. لم أجرؤ على مواجهة المشاعر في داخلي، كانت ستنفضح لو نظرتُ إليه.

وتلقّاني بين ذراعيْه من دون مقاومة

مشينا، ويدُه تلفّ يدي، وإحساسٌ غامرٌ بالطمأنينة يلفّني

كان كلُّ شيء جميلاً في هذه المدينة المسحورة: المطاعم، الطرقات، الأجساد الهوليوودية. لكنّ كلّ شيء تلاشى ولم يبقَ إلاّ هو، وأنا، وعناقٌ، واحتراقٌ، وذاكرةٌ طارت مع الريح

وككلّ شيءٍ مغادر، عادت التاكسي تلفّني، والظلامُ يلفّ المدينةَ حولي

لم أعرفْ أنّ ما كان من لحظاتٍ بدا لي حياةً كاملةً لن تتكرر.

ككلّ شيءٍ جميل، كلُّ شيء من حولي يموت

ليتني عرفتُ أنّ ما بدأ للتوّ... قد مات في اللحظة ذاتها!

مشيتُ إلى الرجل الذي أحببتُه ذاتَ مرّة. كنتُ غريبةً، بلا مشاعر، سوى نظراتي التائهةِ وقلبي الجريحِ

كلُّ شيء من حولي له طعمُ الموت، كالموتِ الذي خيّم على المدينة الباردة.

صنمٌ أنا أمام هذا الذي أحببتُه ذاتَ مرةٍ. وذاك الرجل الذي سحرني في المدينة الأخرى حوّلني شظايا: مرةً حين عانقني، ومرةً حين مرّ قربي كغريب

كان يَكْره العتابَ، فلماذا أعاتبه؟ وكان يَحْفظ كلامَ حبيبته الأولى «بين حبيبيْن لا توجد كرامةٌ.» فماذا يحدث، إذًا، عندما ينسحب أحدُهما من طرفَي المعادلة؟

لا عتاب، ولا غضب، ولا سؤال. كلُّ ما يحدث هو: الانسحابُ من الحب.. الانسحابُ من الذكرى . من عامٍ مضى كان كلُّ ما فيه انتظارَ لحظةٍ مسحورةٍ أخرى، عناقٍ واحدٍ آخر، عناقٍ حتى الوداع. لكنْ، ككلّ شيءٍ، كاملَ القسوةِ، كاملَ الاقتلاعِ، كان

كاليفورنيا

❖ ـ كاتبة فلسطينية من الجليل محاضرة في العلوم السياسية ـ كاليفورنيا